٣٤ تفسير آيات من كتاب الله العظيم

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : إن من أجل القربات ، والطاعات التي نتقرب بها إلى مولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فهم كتاب الله العظيم ، وسوف نتناول الحديث بإذن الله جَلَّ وَعَلَا في هذه الجمعة المباركة عن آيات من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ، فأعيروني القلوب ، والأسماع ، فإن الموضوع من الأهمية بمكان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النساء : ٢٦ -٢٨).

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ الإرادة هنا بمعنى المحبة ، أي يحب الله.

والإرادة على قسمين:

أولًا: الإرادة الكونية : وهي مشيئته لما خلق ، فجميع المخلوقات داخلة تحت مشيئته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة : ٢٥٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد : ١١).

وقال تعالى ، إخبارًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(هود: ٣٤).

ثانيًا: الإرادة الدينية الشرعية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة : ٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٣٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء : ٢٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ ﴾ اللام هنا بمعنى : أن كقوله تعالى :

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (الشورى:١٥)، أي: وأمرت أن أعدل بينكم.

وكقوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام : ٧١).

وكقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾(الصف : ٨).

وكقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤).

وقوله جلت عظمته: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾، أي: ليبين لكم الحلال الذي أحله لكم والحرام الذي حرمه عليكم كما هو واضح في السورة، وغيرها.

أيها المسلمون، هذه الآيات المباركات تضمنت أمورًا:

١- البيان. ٢- الهداية.

٣- التوبة. ٤- خطورة الميل إلى الشهوات.

٥- إرادة التخفيف.

أولاً: البيان: فقد بين الله لعباده أتم البيان، وكذا رسوله محمد ﷺ بين، وأوضح الطريق لأمته أتم الإيضاح، ودونك هذه الأدلة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾(النحل: ٨٩).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(النساء: ١١٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء : ١٥).

وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأنعام : ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ١١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الفرقان : ٣٢- ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت : ١٧).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف : ١١).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ (البقرة : ٢١٣).

وقال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النحل : ٦٣ -٦٤).

وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ

بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٥).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء : ٥٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] : لو لم يكن أمر الله ورسله فاصلًا للنزاع ، لم يؤمروا بالرد إليه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأنعام : ١١٩).

وفي الحديث الصحيح [٢] عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك** » .

وفي البخاري ومسلم [٣] عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ : «**الحلال بَيِّن، والحرام بَيِّن** » .

وقال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا [٤].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعذب أحدًا إلا بعدالإنذار والإعذار على أَلْسِنة الرسل -عليهم الصلاة والسلام - ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ

(١) مجموع الفتاوى ج١٩(١٧٣).
(٢) ابن ماجه برقم (٤٣).
(٣) البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).
(٤) أحمد برقم (٢١٣٦١) وسنده صحيح.

مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾ (طه : ١٣٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص : ٤٧).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (المائدة : ١٩).

عباد الله : إن ديننا الإسلامي لم يترك شأنًا من شئون الآخرة ، ولا أمرًا من أمور الدنيا إلا بينه ووضحه ، فحذار حذار عباد الله من معاصي الله ، فإنها شهوة قصيرة عاجلة تعقبها حسرة دائمة ونار حامية ،حذار حذار، فقد وضح السبيل ، ولا ينفع عند الله ملفق الأعذار ، ولا التأويل ،اللهم ردنا إلى الإسلام ردًا جميلًا ، واهدنا جميعًا سواء السبيل.

ثانيًا : الهداية: قال رب العالمين في هذه الآية الكريمة :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء : ٢٦) ، أي يوضح الله لكم ، ويرشدكم ، ويدلكم على طريق الأنبياء ، والصالحين من قبلكم ، لتقتدوا بهم.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإنسان : ١ -٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾(البلد: ١٠)،أي طريق الخير وطريق الشر.

ثالثاً: التوبة: فقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾، أي والله يريد أن يتوب عليكم وتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله : توبة قبل توبة العبد وتوبة بعد توبته.

أما توبة الله للعبد قبل توبته ، فإذنه ، وتوفيقه له بالتوبة.

وأما توبة الله على العبد بعد توبته ، فبقبوله لتوبة عبده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة : ١١٨).

فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ ، أي أذن لهم ، ووفقهم للتوبة ، فإذا تابوا إلى الله قبل الله منهم التوبة كما قال جلت عظمته في كتابه الكريم: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة : ١٠٤).

ولما كان الإنسان ضعيفًا وعجولًا يحصل منه التكرار للذنوب ، كرر الله ذكر التوبة مرة أخرى ، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٢٧).

والتوبة هي الرجوع إلى الله من معصيته إلى طاعته ، فالله : ﴿ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ عليم بمصالح عباده في أمر دينهم ، ودنياهم ، وحكيم فيما دبر من أمورهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٢٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: أي ، يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى ، والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلًا عظيمًا.

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون.

رابعًا: الشهوات: جمع شهوة ، ولقد ذم الله أصحاب الشهوات من الكفار ، والفجار والفساق ، وغيرهم فقال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴾ (مريم : ٥٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ (محمد : ١١٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴾ (الأحقاف : ٢٠).

والله هو الذي زين للناس الشهوات من باب الابتلاء والاختبار كما في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران: ١٤).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ (الكهف : ٧).

---

(١) تفسير ابن كثير ج١(٤٥٤).
(٢) معالم التنزيل للإمام البغوي ج١(٤١٧).

وعند أبي داود والترمذي والنسائي [١] عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد** ». قال : « **فلما خلق الله النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها** ».

وفي صحيح مسلم [٢] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**» .

وعن أبي برزة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**» . [٣]

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول ﷺ : «**سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان اللباس، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي**» [٤] .

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [٥]: أركان الكفر أربعة : الكبر والحسد والشهوة والغضب.

---

(١) أبو داود برقم (٤٧٤٤) والترمذي برقم (٢٥٦٠) والنسائي ج٧ وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الجامع الصحيح ج١(٤٤٢).

(٢) مسلم برقم (٢٨٢٢) ورواه البخاري برقم (٦٤٨٧) ومسلم برقم (٢٨٢٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مُسند البزار برقم (٣٨٤٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب برقم (٥٢).

(٤) الطبراني في الكبير برق (٧٥١٢) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم (٥١٢- ٥١٥).

(٥) فوائد الفوائد ص(٢٨٨).

وقال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قوة المؤمن في قلبه وضعفه في جسمه وقوة المنافق في جسمه وضعفه في قلبه[١].

وقال بعض السلف: رب شهوة أورثت حزنًا طويلًا .

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كفى بالمرء سرفًا أن يأكل كل ما اشتهى[٢].

ولقد كشف الله عن نفسية الإنسان إذ الزناة يرغبون أن يكون الناس كلهم زناة ، والمنحرفون يودون أن ينحرف الناس مثلهم ، وهكذا كل منغمس في خبث أو شر أو فساد ، يود أن يكون كل الناس مثله ، كما أن الطاهر الصالح يود أن يطهر ويصلح كل الناس[٣].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (النساء : ٨٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (البقرة : ١٠٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (النساء : ٤٤-٤٥).

وقال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن » .

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٢(٢٤٥).
(٢) شرح السُّنَّة للإمام البغوي ج١٤(٣٠٦).
(٣) أيسر التفاسير ج١(٣٩٠) للجزائري.

أيها المؤمنون : إن الوصول إلى الراحة لا يكون ، إلا بترك الراحة ، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم ، فيا من بلغت ذنوبه الشفع والوتر ، ويا من قلبه كالليل إذا يسر أسود بهيم ، بسبب الذنوب والمعاصي تب إلى ربك قبل فوات الأوان.

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيني
فما قولي له لما يحاسبني ويقصيني

وقال آخر:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجّى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن فضله في قول كن امنن فإن الخير عندك أجمع
ما لي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أدفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة فإذا رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أرجو وأهتف باسمه إن كان جودك عن فقيرك يمنع
حاشا لفضلك أن تقنط راجيًا الجود أجزل والمواهب أوسع

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعزته وجلاله وحوله وطوله أن يعجل بنصره العزيز لعباده الصالحين في كل مكان ، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، اللهم فرج عن المظلومين في كل مكان ، اللهم أنج المؤمنين المستضعفين في العراق وفي فلسطين ، وفي كل مكان يا أرحم الراحمين.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله بين الطريق، وأوضح المحجة ، أرسل رسله مبشرين، ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة ، أحمده سبحانه، وأشكره ، وأتوب إليه ، وأستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ألم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى و أمجد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

أيها المسلمون : وقوله سبحانه ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨).

معناه : أي يحب الله أن يسهل عليكم في أحكام الشرع ، وفي هذا دليل على مدى رحمة الله وفضله وكرمه ولطفه بعباده المؤمنين ، وأنه يحب سبحانه أن يخفف عنهم ، وقد فعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وقال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة : ٦).

وعن محجن بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لها العسر**» قال لها ثلاثًا [١] .

(١) الطبراني في الكبير برقم (٧٠٧) .

وفي رواية « إنكم أمة أريد بكم اليسر »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن خير دينكم أيسره »[٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: عن هذا الرسول ﷺ ﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ** ﴾ (الأعراف : ١٥٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]:أي أنه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال «بُعثت بالحنيفية السمحة»[٤].

وقال ﷺ لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما بعثهما إلى اليمن «يسرًا ولا تعسرًا، وبشرًا ولا تنفرًا، وتطاوعا ولا تختلفا »[٥].

وقال صحابه أبو برزة الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره ، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها ، وسهلها لهم ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم**»[٦] ، وقال «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» ، ولهذا أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا :﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ (البقرة : ٢٨٦).

---

(١) أحمد برقم (٢٠٣٤٧) الصحيحة برقم (١٦٣٥).
(٢) أحمد برقم (١٥٩٣٦) الصحيحة برقم (١٦٣٥).
(٣) تفسير ابن كثير ج٢(٢٣٥).
(٤) ضعفه العلامة الألباني في غاية المرام برقم (٨) ، ولكنه قد ثبت قوله ﷺ : « **أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة**» الصحيحة برقم (٨٨١).
(٥) البخاري برقم (٣٠٣٨) ومسلم برقم (١٧٣٣) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٦) مسلم برقم (٢٦١١).

وثبت في صحيح مسلم[١] «أن الله تعالى قال:بعد كل سؤال من هذه: قد فعلت ، قد فعلت» وقوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾(الأعراف: ١٥٧)،أي عظموه ووقروه ، وقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ أي القرآن والوحي الذي جاء به مبلغاً إلى الناس :وقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي في الدنيا والآخرة . اهـ

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨).

ضعيفًا في البنية والتركيب ، ضعيفًا في الإدراك والقوة ضعيفًا أمام الشهوات والشبهات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ (السجدة: ٧- ٨).

وقال تعالى : ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ (الإسراء : ١١).

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ ﴾ (الروم : ٥٤).

وفي صحيح مسلم [٢]عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك**» .

---

(١) مسلم برقم (١٢٦).
(٢) مسلم برقم (٢٦١١).

وهكذا من ضعف الإنسان أنه مجبول على الخطأ لما جاء في صحيح مسلم[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**» .

وعلى وجه الخصوص إن أعظم ضعف في الإنسان أن لا يصبر على النساء ، قال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللَّهُ : « يذهب عقله عندهن »[٢] .

وصح عن طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾: قال: أي في أمر النساء.[٣]

أيها المؤمنون : ثبت عند البخاري ومسلم في صحيحيهما[٤] عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» .

وقال ﷺ : «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : فليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك ، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» .

وأكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء. ففي صحيح البخاري عن

---

(١) مسلم برقم (٢٧٤٩).
(٢) رواه ابن أبي حاتم برقم (٩٢٦).
(٣) رواه الطبراني برقم (٩١٣٦) والصحيحة برقم (٨٨١).
(٤) البخاري برقم (٥٠٩٦) ومسلم برقم (٤٧٤٠).
(٥) مسلم برقم (٢٧٤٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)** **وقال الأعشى: وهن شر غالب لمن غلب »**[1].

هذا والله نسأله أن يحفظنا من الفتن ويعصمنا من الزلل والمحن، اللهم أصلح من في صلاحه صلاح الإسلام والمسلمين، وأهلك من في هلاكه صلاح الإسلام والمسلمين يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجعلنا لكتابك من المتمسكين، وللصلاة من المقيمين، وللزكاة فاعلين، ولسائر أركان الإسلام وفرائضه وشعائره مؤدين.

عباد الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

وفقنا الله وإياكم لمراضيه، وجعل مستقبل حالنا خيرًا من ماضيه، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علمًا وامنحنا فهمًا وحلمًا.

(١) مجموع الفتاوى ج٢٥(٢٧٤٢).